

الرجل اللغز: الشيخ الحاج أحمد التّنوري الزباني الودغيري الإدريسي الأنزجيري التّواقي

The Mysterious Man: Cheikh Hadj Ahmed al-Tannouri al-Zayani al-Ouadghiri al-Idrissi al-Anzedjmiri al-Taouati

هشام عبد الوافي (*)

Universitat Internacional de Catalunya, (Spain), hicham@uic.es

تاريخ الاستلام: 2023/12/ 15 تاريخ القبول: 2025/09/ 18 تاريخ النشر: 2025/11/ 12

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أحد أهم حقبة تاريخ توات -أدرار حاليا- التي لم يورخ لها سابقا، وذلك بالاعتماد على مصادر موثوقة للتعريف بالشيخ الحاج أحمد التّنوري، أحد رجال النصف الثاني من القرن الحادي عشر والأول من القرن الثاني عشر الهجريين، الذي هاجر من واحة فجيح بالمغرب إلى إقليم توات بالجزائر عبر الساقية الحمراء في ظروف غامضة مجهولة، فأعاد عمارة بلد أنزجيمير، أحد أعرق القصور المهجورة بسبب الحروب بتوات آنذاك؛ فأسس قصر أنزجيمير الفوقاني وتزوج بالشيخة عائشة، التي تصدرت المشهد وتولت زوجها زمام الأمور في حال حياتهما، ثم آلت السلطة والمشيخة إلى أبنائهما: الشيخ بلة، الشيخ عبد الوافي، والشيخ محمد.

الملخص

الكلمات الدالة: الحاج أحمد التّنوري؛ فجيح؛ توات؛ قصر أنزجيمير؛ المشيخة.

Abstract

The purpose of this study is to shed light on an important era of the history of Touat – Adrar province now- which hasn't been written about before. We referred back to various trusted sources to introduce Cheikh Hadj Ahmed al-Tannouri, a man who lived during the second half of the eleventh Hijri century and the first half of the twelfth Hijri century. He emigrated from Figuig in Morocco to Touat in Algeria through al-Saquia al-Hamra under unclear & unknown circumstances, and rebuilt the town of Inzedjmir, which was one of the ancient abandoned towns because of conflicts in Touat during that time; he built Qasr-Inzedjmir al-Fougani and married Cheikha Aicha, who was at the forefront. She and her husband were taking control of everything during the period they lived, and later on the reins of authority and sheikhdome passed to their sons: Cheikh Bella, Cheikh Abdelouafi, and Cheikh Muhammad.

Keywords

Hadj Ahmed al-Tannouri; Figuig; Touat; Qasr Inzedjmir; Sheikhdome.

* المؤلف المرسل.

1. مقدمة:

توافد على منطقة توات -ولاية أدرار حاليا بجنوب الجزائر- قبائل مختلفة على مر العصور، فاستقر بأرضها الأمازيغ الجيتول بفروعهم القديمة، والمور السود، فاليهود والعرب.¹ وشهدت نشاطا وحركة كبيرة إذ كانت منطقة عبور لقوافل تجارية ومسافرين من وإلى وجهات مختلفة.² وبالرغم من ذلك لا أعلم كتابا، في توات قاطبة، يُعنى بعلم الأنساب أو يذكر أن القبيلة الفلانية التي ينحدر أصلها من كذا دخلت أرض توات بتاريخ كذا وكذا واستوطنت القصر الفلاني. وعليه فإنه لا يكاد يُعرف للدخل إلى أرض توات تاريخ دقيق ولا الخارج منها كذلك، ففي تلك الحقبة كان هم الناس وشغلهم الشغل هو كسب لقمة عيش تسد الجوع وسقف آمن يحميهم من قر الشتاء وقبض الصيف، وبذلك ضاع الكثير من التاريخ وأهمل بسبب عدم التدوين؛ وما زاد الطين بلة هو عدم اهتمام الخلف بتاريخ من مضى من السلف، إلا استثناءات قليلة والروايات التي تناقلتها الأجيال كحكايات وطرائف كانت تسرد في المجالس على سبيل الاستئناس ليس إلا.

وعلى عكس ما مضى من العصور والأزمنة يمكن القول بأن الوضع إلى حد ما يختلف في وقتنا الراهن، لما نلاحظه من صحة والتفاتة للتاريخ والتراث ومساعي التوثيق والجهود المبذولة في سبيل ذلك. فنجد أن غالب أهل توات اليوم في بحث مستمر عن تاريخ قصر من قصورها أو جذور عائلة من عائلاتها، فمن كان له أرث أو وثائق محفوظة أو تاريخ غير بعيد اعتمد عليه وتيسر له إيجاد طرف الخيط وتتبع ماضي أسلافه والوصول إلى نتيجة، وإلا كان البحث غير مجد، يدور صاحبه في حلقة مفرغة، ويؤسفني القول بأنه حال الكثير من العائلات. وهذا ما دفعنا للكتابة عن تاريخ حقبة مهمة من تاريخ توات عاش وقائعها المرحوم بكرم الله الشيخ الحاج أحمد التّنّوري بقصر أنزجير بعدما هاجر إليها من فجيج، والتي لم يسبق التأريخ لها³ لأن مجيئه كان قبل مرحلة التدوين بقصر أنزجير، وذلك بالاعتماد على مصادر مختلفة موثوقة⁴ بغية التعريف بالشيخ الحاج أحمد التّنّوري، وبالأستناد إلى ما تناقلته الأجيال من روايات صحيحة ووقائع سمعناها من أفواه رجال ثقات؛ فكان أول ما قمت به هو ضبط فروع

وعائلات ذرية الشيخ الحاج أحمد التّوري، واستغرقني الأمر شهورا حتى استطعت بتوفيق الله توثيق شجرة النسب لذريته التي تفرعت وانتشرت في ربوع أرض توات وخارجها انطلاقا من قصر أنزجيمير الفوقاني، بدائرة زاوية كنتة، ولاية أدرار، دولة الجزائر.⁵ ثم بعد ذلك عملت على ربطها بالأصل، فبعد بحث مضمّن توصلت إلى أن "التّوري" اسم علم تنفرد به أسرة عريقة تنتمي إلى الفرقة الزيانية الودغيرية الإدريسية بقصر الوداغير بفجيج بالمملكة المغربية. وتوفيق من الله تعالى وتوجيه وتوثيق من الأستاذ المهندس العربي هلاي الودغيري الفجيجي⁶، مشكورا جزيل الشكر، انتهى البحث بنتيجة واضحة، مبنية على إثباتات وبراهين كما سيأتي معنا إن شاء الله قريبا بشكل مختصر.

2. نبذة عن قصر أنزجيمير بتوات:

يعد قصر أنزجيمير، الذي يبعد عن مقر دائرة زاوية كنتة بنحو 18 كيلومتر وعن مقر ولاية أدرار بنحو 92 كلم جنوبا، أحد أعرق القصور بإقليم توات الذي يضم حاليا ولاية تيميمون المعروفة "بقورارة" وتمتد من قصر تَبْلُكُورَة ببلدية تَبْرُكُوكْ إلى قصر عريان الراس ببلدية تَسَايَيْت، ولاية أدرار المعروفة "بتوات الوسطى" وتمتد من قصر عريان الراس ببلدية تساييت إلى قصر أَتْهَنْتْ ببلدية رقان، وولاية عين صالح المعروفة "بتديكلت" وتمتد من قصر تَيْمَقُطَن ببلدية أَوْفْ إلى قصر فقارة الزوى ببلدية عين صالح، ويحتل إقليم توات بمناطقه الثلاث (أدرار، قورارة، تديكلت) تاريخا غامضا مليئا بالمفاجئات في قصوره العتيقة وعصورها الغابرة.

ولفظ القصر (أو لَقْصَر) هنا نسبة إلى نخط العمارة القصورية، وهو أحد أهم أشكال التراث العمراني المنتشر والمألوف في بلاد المغرب العربي ككل لا الجزائر فحسب، كمنطقة فجيج بجنوب المملكة المغربية وبين منطقتي مطماطة وتطاوين في الجنوب الغربي لجمهورية تونس. وعادة ما كان يسكن القصر مجموعة أسر تنتمي لنفس العرش أو القبيلة بداخل بيوت متراسة متشابهة تتكون من طابقين إلى ثلاثة في العادة،⁷ ويضم مختلف المرافق التي تحتاجها ساكنة القصر في حياتهم اليومية كالمسجد والمدرسة القرآنية (الْكُتَّاب) والدكاكين. وكانت القصور تبنى وفق تصاميم ومعايير معمارية محكمة بمواد أولية تتمثل في الطين وجذوع النخيل والحجارة

والجبر، وهي أشبه بالحصون لأنها محاطة بأسوار عالية مدعمة بأبراج للمراقبة كثكنات عسكرية في أركان وزوايا القصر، ولها أبواب كبيرة مصنوعة من خشب النخيل تصل القصر بمحيطه الخارجي أو الواحة، وشيدت بهذا النمط لردع العدو وحماية أهل القصر في زمن الحروب والاعتداءات التي كانت تشنها القبائل فيما بينا بالمنطقة، وبالرغم من أن نمط العمارة القصورية اندثر ولم يعد نمط الاستيطان السائد بمنطقة توات إلا أن تسمية القصر ما تزال تطلق اليوم على كل القرى بتوات بشكل عام.

لم يكن المرحوم الشيخ الحاج أحمد التّنوري أول المعمرين لقصر أنزجير الذي حمي الوطيس بأرضه، فلقصر أنزجير تاريخ ضارب في القدم، عاشت به قبائل على فترات زمنية مختلفة خلال قرون مضت شهدت حروبا وفتنا، أشهرها فتنة يحمّد وسفيان، فكثّر في ذلك الزمان الهرج والغارات ونشبت بين عروش القبائل نار حروب دامية بسبب التعصب للقبيلة والجهل والبعد عن الدين، أهرقت جراء ذلك الكثير من الدماء، ودفن العديد من الأموات ومعهم دفن ذكرهم وتاريخهم واسرارهم في الحفر تحت التراب وأنقاض المباني، ترويهما الأطلال، وما نطقنا، بلسان أعجمي وكلمات مبهمة، فذهبوا وظل من بعدهم الأثر كشاهد ودليل على تلك الحقبة الغامضة من تاريخ منطقة توات.

استوطن قصر أنزجير السباعيون الأدارسة⁸ ردحا طويلا من الزمن بعد البرامكة، وأول داخل منهم لمنطقة توات هو سيدي عبد الله السباعي الإدريسي، الجد الجامع لكل فروع الشرفاء السباعيين الأدارسة بتوات، الذي جاء خلال القرن السابع الهجري عبر الساقية الحمراء واستقر بقصر أنزجير.⁹ مات مقتولا في ظروف غامضة وضريحه موجود الان بالمسجد العتيق بالقصر الفوقاني بأنزجير وبجانبه دفن ابنه سيدي علي رحمهما الله؛ ومن الآثار التي تدل على الفترة التي عاشها الشرفاء آل السباع الأدارسة بقصر أنزجير، مسجد سيدي أحمد بن سيدي عبد الله بقصبة المرابطين، الذي رمه واعتنى به الأنصار بعد خروجهم من القصر الفوقاني وتأسيسهم للقصبة بقصر أنزجير التحتاني، وبداخله توجد الان خزانة مخطوطات الشيخ أحمد

بن عبد الرحمن بن أحمد الحبيب،¹⁰ وهو المسجد الذي تصلى به الجمعة وفيه يُقرأ ويُتَم كتاب صحيح البخاري وكتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض.

ولم تهدأ الأوضاع بقصر أنزجير إلا بعدما وضع سيدي الإمام مُحمَّد بن عبد الكريم المغيلي (ت. 909هـ)¹¹ حجره الأساس خلال القرن التاسع الهجري، وذلك بسبب الحروب والفتن التي شهدتها جل قصور توات في ذلك الزمن الغابر. وللسباعيين الأدارسة تاريخ ضارب في قصر أنزجير، فكان سيدي عبد المؤمن السباعي آخر من غادره، انتقل إلى قصر تيدماين في حدود سنة 1050هـ-1640م واشترى قطعة أرض من أولاد جبارة¹² واستقر هناك ومنه تفرعت ذرية طيبة. والكثير ممن سكنوا القصر كذلك انتشروا في أرض الله، لأسباب مجهولة، كالذين خلوا من قبلهم من قبائل البرامكة وغيرهم ممن سبق من الأولين، وبات قصر أنزجير مهجورا مجددا إلى أن نزل بأرضه الشيخ الحاج أحمد التَّنوري في القرن الثاني عشر الهجري، فأعاد عمارة القصر واستقر به وذريته، ثم نزل الشيخ عبد الرحمن الزجلاوي الأنصاري بين ظهرانيهم بالقصر الفوقاني، فأسمى قصر أنزجير بلدا آمنا، استنار بالعلم وانكب الناس على حضور مجالسه وأخذت نيران الفتن والجهل، بفضل هؤلاء السادات الرجال، طيب الله ثراهم وأكرم مثواهم برحمته الواسعة بجاه نبيه طه المصطفى الكريم وجعل الجنة مستقرهم ومأواهم، آمين، والله أعلم.

3. اسمه ونسبه:

نسبه الكامل هو: الشيخ الحاج أحمد، مؤسس قصر أنزجير الفوقاني بتوات -بولاية أدرار الجزائرية- في النصف الأول من القرن 12هـ ودفين مقبرته، بن مُحمَّد بن عبد الله بن مُحمَّد بن التَّنوري، جد التَّنوريين وهو أحد الإخوة البذور الخمسة الشرفاء الجلة الذين هم غالب فروع الفرقة الزيانية الودغيرية الشريفة، بن الشيخ أحمد بن مُحمَّد بن الشيخ زيان، جد الشرفاء الزيانيين، بن عبد الرحمان بن مُحمَّد بن أحمد بن زيان بن عبد الرحمان بن زيان بن محرز بن مُحمَّد بن عبد الله الشريف بن عبد الحميد بن أمامة بن علي بن مناصر بن الولي الصالح والقطب الواضح الشيخ سيدي عيسى، دفين قرية بني ونيف، بن الولي الأشهر العارف بالله الأكبر الشيخ الأمير

عبد الرحمن الودغيري، الجامع لكل فروع الشرفاء الوداغير بفجيج وخارجها، الذي هاجر بأولاده من فاس إلى فجيج سنة 317هـ - 929م،¹³ بن علي المكني بعللي، دفين الطالعة الكبرى بفاس ومشهور الضريح والمسجد والدرب هناك، بن إسحاق المكني بعبد العلي، دفين مصمودة قبلة جامع الأندلس بفاس، بن أحمد، دفين جامع جرواوة بفاس، بن الأمير مُجَّد، دفين ضريح والده، بن الخليفة المولى إدريس الأزهر، بابي مدينة فاس الملقب بالدر النفيس وبتاج المغرب دفين فاس المحروسة، بن مولانا الخليفة إدريس الأكبر، الملقب بالفاتح والمبايع له بالخلافة بالمغرب في العام 172هـ دفين زهون، بن مولانا عبد الله الكامل، إمام المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، والمسمى بالحض والخالص لكونه أول مولود حسني من أم حسينية وهي فاطمة بنت الحسين، بن الإمام القدوة الحسن المثنى بن مولانا الإمام الحسن المجتبي، حليم آل البيت وريحانة الرسول وسيد شباب أهل الجنة، نجل أمير المؤمنين الأسد الغالب سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من مولاتنا البتول وبضعة الرسول الطاهرة سيدة نساء أهل الجنة فاطمة الزهراء بنت مولانا وحبيبتنا وقائدنا رسول رب العالمين وإمام المرسلين وقائد الغر المحجلين نبي الله ورحمته المهداة سيدنا مُجَّد بن عبد الله الهاشمي ﷺ تسليماً كثيراً دائماً وعلى آله الطيبين الطاهرين الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

أما اسم التّنوري فنسبة إلى جده الشيخ التّنوري الجد الجامع للتّنورين، والزباني نسبة إلى الشيخ زيان جد الفرقة الزبانية، والودغيري نسبة إلى جده الشيخ الأمير عبد الرحمن الودغيري، الجد الجامع لكل فروع الشرفاء الوداغير بفجيج وخارجها، والإدريسي نسبة إلى الجد الأعلى لجميع الشرفاء الأدارسة، الخليفة إدريس الأكبر بن عبد الله المحض، والأَنْزَجَمِي التّوَاتِي نسبة إلى قصر أَنْزَجَمِير وإقليم تّوات، فهو الشيخ الحاج أحمد التّنوري الزباني الودغيري الإدريسي منشأ وأصلاً الأَنْزَجَمِي دارا ووفاة التّوَاتِي إقليما الجزائري وطنا رحمه الله.

4. أصل التسمية:

ورد اسم "التّنوري" في وثيقة بيوع قديمة كانت بحوزة المرحوم الحاج سالم بن عبد الوهاب بالشيخ سنة 1997م أو العقد الأول أو بداية الثاني من سنة 2000م، وتحقق من

صحتها ثقات من أعيان المنطقة وعلمائها الأفاضل أمثال الشيخ المربي سيدي الحسن الشيخ الأنصاري حفظه الله. ورد في الوثيقة الاسم الكامل ب: الحاج أحمد بن محمد بن عبد الله التَّنْوري، فحكموا بغربة الاسم وأنه أجنبي عن المنطقة¹⁴، فلم يُعرف به إلا المرحوم الشيخ الحاج أحمد التَّنْوري في ذلك الوقت الذي عاشه بقصر أنزجيم، وإلى الآن تشتهر وتنفرد به ذريته بتوات.

والتَّنْوري اسم فريد تميزت به الأسرة التَّنْورية الودغيرية بفجيج قاطبة دون سواها، بالإضافة إلى أسماء أخرى مثل المزوار، وبوصوار، وكلها تحمل من الغربة والغموض ما يثير التساؤل ويدفع إلى البحث عن المصدر الحقيقي لهذه الأسماء دون معناها اللغوي المعروف في المعاجم. ولا يسعنا هاهنا التعليق عن أصل هذه الأسماء بغية الاختصار، فلقد تطرق إلى هذه المسألة غيرنا فأفاد وأجاد مشكوراً.¹⁵ وهذا ما يبين لنا سبب تمسك المرحوم الشيخ الحاج أحمد باسم "التَّنْوري"، فمتى أطلق هذا الاسم انصرف إلى الشيخ التَّنْوري لا محالة، وهو الجد الجامع لفرع التَّنْورين الزيانين الودغيريين الفجيجيين. وإذا ما تتبعنا بعض الوثائق الفجيجية¹⁶ نجد أن غالب أحفاد ورجالات الأسرة التَّنْورية بمنطقة فجيج كانوا يكتفون بإضافة "بن التَّنْوري" مباشرة بعد الاسم الأول - بالرغم من أن الذي يربط بينهم وبين الشيخ التَّنْوري قد يتجاوز اثنين أو ثلاثة آباء - دون ذكر أو مراعاة ترتيب اسم الأب المباشر ثم الذي يليه مسلسلاً، وهذا التسامح أمر شائع ومتعارف عليه في الأسرة التَّنْورية لسببين:

- (أ) لأن أفراد الأسرة التَّنْورية كانوا مجموعين، ومنازلهم متقاربة، يعرف أحدهم الآخر ومعلوم نسب كل تنوري واسم أبيه وجده، ولا يحتاج لإثبات ذلك البتة؛
- (ب) لاشتهار الأسرة التَّنْورية بالاسم وانفرادها به دون سواها، فلا يحمله أو يكتن به إلا من كان ينتسب إلى ذرية الشيخ التَّنْوري، الجد الجامع للتَّنْورين بفجيج كما سبق ووضحنا وشيكاً.

وعليه فإن المرحوم الشيخ الحاج أحمد التَّنْوري كان يكتفي هو الآخر بذكر اسمه الأول واسم جده "الشيخ التَّنْوري" في الوثائق الفجيجية، لأن اسم أبيه وجده معروف عند أهل فجيج، وهو عندهم ثابت النسب مشهور. والاسم ذاته "الحاج أحمد بن التَّنْوري" اشتهر به

عندما هاجر من فجيج إلى توات واستقر بقصر أنزجير. ولم يرفع نسبه إلا في الوثيقة التواتية السالفة الذكر، ليوثق بذلك سلسلة نسبه الصحيحة بسندها المتصل إلى الشيخ التّنوري أبا عن جد، وهو ما كان يجمله أهل ذلك العصر بمنطقة توات حتما¹⁷، لأن المرحوم الشيخ الحاج أحمد التّنوري كان غريبا عن أرضها، تاركا الأثر وطرف الحيط للأجيال التي تأتي من بعده، ومن هنا كان مرتبط الفرس ومنطلق رحلة البحث لربط فرع ذرية التّنوريين بتوات بجذور عائلتهم التّنورية الزبانية الودغيرية بفجيج.

5. مولده ونشأته:

ينحدر أصل المرحوم الشيخ الحاج أحمد التّنوري من قصر الوداغير، بمنطقة فجيج شرق المملكة المغربية. وهو من أحفاد الشيخ التّنوري بن الشيخ أحمد بن الشيخ مُحمّد بن الشيخ زيان. وبناء على الحبس الجماعي لأبناء المرحوم الشيخ أحمد بن الشيخ مُحمّد بن الشيخ زيان جد التّنوريين المؤرخ في شعبان 985هـ - 1577م¹⁸، فإن الشيخ التّنوري لم يكن قد خلف بعد. وأول ما يفهم من ذلك أنه كان آخر العنقود أو لربما كان شابا يافعا، تزوج حديثا أو بلغ سن الزواج وقصر عنه في ذلك الوقت، مما يعني أنه كان من أهل النصف الثاني من القرن العاشر والأول من الحادي عشر الهجريين.

ولم نعر للمرحوم الشيخ الحاج أحمد التّنوري على تاريخ دقيق لولادته. وبحسب المصادر والمخطوطات التي وقفنا عندها¹⁹ علمنا أنه كان لا يزال مقيما بفجيج خلال العشرة الأولى من القرن الثاني عشر الهجري، ثم اختفى ذكره في الوثائق الفجيحية مباشرة بعد هذه الفترة، أي بعد العقد الأول من القرن الثاني عشر الهجري، ولم يعد له أثر بفجيج مذاك الحين. فبذلك يكون المرحوم الشيخ الحاج أحمد التّنوري قد عاش خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري والنصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري على أقصى تقدير. ولم نقف على ما يثبت زواجه بقصر الوداغير أو عدمه، فإله أعلم إن كان قد ترك ذرية من بعده في فجيج أم لا؟

6. هجرته من فجيج إلى توات:

لا يسعنا ضبط تاريخ مجيء الشيخ الحاج أحمد التّنوري إلى منطقة توات، لكن يحتمل أنه دخل أرضها ونزل بقصر أنزجير خلال العشرة الثانية من القرن الثاني عشر الهجري على صهوة فرسه عبر الساقية الحمراء، مغيرا المسار المباشر والطريق الرابط بين فجيج وتوات في ظروف ودواع مجهولة غامضة. كان المرحوم الشيخ الحاج أحمد التّنوري "أحد فضلاء قصر الوداغير ووجهائه، والشهود المرضيين في أحوالهم وهو من أصحاب الشيخ المشهور بتأليفه الصوفية أحمد بن أبي بكر السكوني".²⁰

وسيدي أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر السكوني²¹ كان عالما زاهدا متورعا، وهو من أبرز الشيوخ الذين تصدروا الزاوية السكونية بفجيج وشهدت انتعاشا وازدهارا في عهده. تأسست الزاوية في منتصف القرن التاسع الهجري على يد القاضي سيدي عبد الحق السكوني وحازت شهرة كمثال الشمس لجهودها في سبيل نشر العلم وتكوين الطلبة وكذا علم التربية والتصوف، فتخرج منها علماء أجلاء كبار، قبل أن تتحول إلى زاوية صوفية بنزول أحمد بن أبي المحلى بالواحة واستحواذ مذهبه على منهج سيدي محمد بن أبي بكر السكوني وفكره. تعرضت المدرسة السكونية لحملتين شرستين في عهد دولة السلطان مولاي إسماعيل بن الشريف (ت. 1139هـ-1727م)، الأولى سنة 1104هـ-1692م والأخرى سنة 1118هـ-1707م،²² فكانت الضربة القاضية التي محت الزاوية السكونية ومن ينتمي إليها عن الوجود بصفة نهائية.

هذا وشهدت عدة زوايا صوفية بفجيج أيضا، كالزاوية الدلائية وزاوية تاسافت والزاوية الشرقاوية، وقائع ومحن في عهد الأسرة العلوية شبيهة بتلك التي مرت بها الزاوية السكونية.²³ ومن الواضح أن هذه الوقائع والأيام الصعاب في تلك الفترات كانت السبب الرئيس الذي دفع المرحوم الشيخ الحاج أحمد التّنوري لمغادرة واحة فجيج ولقد كانت في ذلك الوقت حاضرة ودواعي الأمن وسبل العيش الرغيد فيها متوفرة مزدهرة، والحجة في ذلك أن تاريخ اختفاء ذكره من الوثائق الفجيجية تزامن مع ما جرى للزاوية السكونية من أحداث وحملات وضربات عنيفة، وبناء على ما سبق يتبين لنا بشكل جلي أنه ما كان ليهجر قصر الوداغير وأرض أجداده إلا

لسبب ما، إما اضطرارا أو فرارا ولم يكن حتما اختيارا، فوضعيته ووقائع رحيله من فجيج بلا رجعة توحى بشيء، ويلفها الكثير من الغموض، ولا بد أن في الأمر إنّ، والله أعلم.

ولا شك أن الشيخ الحاج أحمد اصطحب معه المال ساعتها - والذي كان رائجا في فجيج هي العملة الذهبية وهي أخف ما يمكن للمهاجر حمله مع الزاد - فالأسرة التّنورية بفجيج كانت من الأسر الثرية في تلك الحقبة الزمنية. وبالرغم أنهم لم يكونوا أمراء، إلا أن الشرفاء الوداغير عموما والفرقة الزبانية خصوصا كانوا من كبار المشايخ، من أصحاب المال ولهم سمعة ونفوذ ليس على مستوى قصر الوداغير فحسب بل على مستوى فجيج وقصورها. فلم يكن آل التّنوري يتأخرون عن أداء مناسك فريضة الحج، وكانوا ممن يسارعون إلى فعل الخيرات وتصدر أنواع المشاركات والخدمات الاجتماعية: كتحبيس الماء والتمر والطعام وتجعل كلها وقفا في سبيل الله لشهر رمضان الكريم وإحياء ليلة القدر، وسرد صحيح البخاري، وغير ذلك من أعمال البر كما هو مألوف عند أهل فجيج؛²⁴ ولأنهم كانوا ممن يسارعون في الخيرات تصدر أعلام هذه الأسرة التّنورية ورجالها أذوارا مهمة في توجيه مختلف مناحي الحياة وتنظيم العلاقات الاجتماعية في قصر الوداغير على وجه الخصوص وفجيج عموما، بفضل ما كان يملكه التّنوريون من حظوظ الماء ووفرة البساتين العامرة بالأشجار وياض الثمار، وفي ذلك دليل على تماسك الأوضاع الاجتماعية ليس للأسرة التّنورية الزبانية والشرفاء الودغيريين فقط، بل لأهالي فجيج أيضا في ذلك العصر.²⁵

نزل الشيخ الحاج أحمد التّنوري بقصر أنزجير بتوات، فتزوج من الشبيخة عائشة البرمكية²⁶ وأحيا معلمه. ولا شك أنه وجد البلدة خاوية على عروشها وقتها فأسس بها القصر الفوقاني، ليكون بذلك النواة الأولى بقصر أنزجير منذ عصره إلى زمننا الراهن. كان رحمة الله علما وعُرف بالزهد والتصوف وكانت تعتره أحوال، ولم يكن ممن يحبون الظهور البتة، ولعل أسبابا ما دفعته للتستر وإخفاء أمره إبان تلك الفترة²⁷، لذا تولت المرحومة بكرم الله زوجه الشبيخة عائشة زمام الحكم آنذاك وتصدرت المشهد في حياة الشيخ الحاج أحمد التّنوري. والمشهور عندنا أن سلطتها امتدت من وادي اغرماملال إلى قصر اوغزير، وعرشها تربع في قلب

قصر أنزجير، شأنها شأن أختها الشبيخة علّو التي كانت تحكم بقصر تآخفيقت. فكان للشبيخة عائشة جاه عظيم وسلطة ونفوذ عال، وكانت وزوجها ممن أنعم الله عليهم بوفرة المال وسعة الرزق ومن أشتهر بالصلاح ومكارم الأخلاق والسيرة الطيبة العطرة في تلك الفترة كما يرويه الخلف عن السلف بتواتر إلى جيلنا الحالي.

7. أبناؤه وذريته بتوات:

توفي المرحوم الشيخ الحاج أحمد التّنوري بالقصر الفوقاني بأنزجير، وضرّحه معلوم بمقبرته الجديدة²⁸، تاركاً بتوات ذرية طيبة²⁹ والعقب منه في ثلاثة أبناء من أصلابهم تفرعت العديد من العائلات والله الحمد، وهم على الترتيب:

1.7 الشيخ بلة: الابن البكر وأكثرهم خلفه وهو الذي تولى السلطة بعد عجز والديه أو وفاتهما. وألقاب ذريته الان: "الشيخ بلة"، الذين ترعرعوا وسكنوا بالقصر الفوقاني بأنزجير. ومنهم أيضاً "المكي" و"كبير" من أبناء التوهامي بن الشيخ بلة مؤسس قسبة القائد (قسبة القايد)³⁰ التي كانت مركز السلطة والقيادة بتوات قبل أن تنتقل إلى قصر تيطاوين لخراس آخر العهد.

2.7 الشيخ عبد الوافي: الابن الأوسط، عاش وابنه حسان وحفيده مهدي بين جدران قصر أنزجير الفوقاني. والعقب من مهدي في ولدين: مُحمّد وجلول، إليهما تنسب ذرية الشيخ عبد الوافي بن الشيخ الحاج أحمد التّنوري اليوم بقصر المحفوظ، وفيهم الوفرة والعدد، وقصر أوغزير بتوات، واللقب المدني لذريته هو "عبد الوافي"³¹، غير متمسكين بكلمة الشيخ، ويشتهرون "بقبيلة بني مهدي".

3.7 الشيخ مُحمّد: وهو أصغرهم، درس عند الشيخ سيدي المُحمّد الونقالي (ت.1175هـ)³² رفقة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن مُحمّد العالم الزجلالوي (ت.1209هـ)³³، فجمع بذلك بين

مشيخة الزعامة ومشيخة العلم، وتشكل ذريته أكثر بقليل من ثلثي عائلات القصر الفوقاني بأنزجير ولقبهم العائلي: "الشيخي" و"الشيخ".³⁴

8. خاتمة:

بعدما رزق أبناء الشيخ الحاج أحمد التّنوري البنين والحفدة، ضاق بهم القصر الفوقاني بأنزجير. فأسس الأنصار القصيبة، المعروفة بقصبة المرباطين وقصبة العلماء، والتوهامي بن الشيخ بلة أسس القصبة المعروفة بقصبة القائد (قصبة القايد). فكانت السلطة التنفيذية لأبناء المرحوم الشيخ الحاج أحمد التّنوري والسلطة التشريعية لأبناء المرحوم الشيخ عبد الرحمن الزجالوي.

أما أول من رحل من حفدة المرحوم الشيخ الحاج أحمد التّنوري خارج قصر أنزجير فهو مُحمّد بن مهدي بن حسان بن الشيخ عبد الوافي؛ انتقل إلى قصر المحفوظ واشترى قصبة العكارمة واستدعى أخاه جلّول بن مهدي الذي نزل أول الأمر بقصر اوغزير، فعاشا وأبنائهما تحت سقف واحد. ثم كان التوهامي بن مُحمّد بن مهدي أول مؤسس لقصر المحفوظ الفوقاني أو ما يعرف بـ "لحدب"، وله الفضل في رسم حدود منازل وشوارعه الواسعة إلى الآن. فما من أحد كان ينوي الخروج فيما مضى من المحفوظ التحتاني أو "لَقَصْر" إلا ويهرع إليه ليضع له الحجر الأساس لمنزله، فكان يخطو بقدميه ويحدد الأركان الأربعة ويضع لبنات الأساس لباحة كل منزل ثم يأمر صاحبه بحفر بئر الماء والشروع في البناء. كان التوهامي منصفا وحكما عدلا أعطى لكل العائلات قطعة أرض تأويه وذريته وتضمن له العيش في مجبوحة، والكل يشهد له بذلك إلى الآن.

واليوم والله الحمد تنتشر ذرية المرحوم الشيخ الحاج أحمد التّنوري من أبنائه الشيوخ الثلاثة في منطقة توات: بقصر أنزجير وقصر المحفوظ وقصر اوغزير وولاية أدرار، ومن ذريته من انتقل خارج منطقة توات، فعلى سبيل المثال لا الحصر: ولاية تيارت، ولاية وهران، وولاية تلمسان وبعضهم هاجر إلى خارج دولة الجزائر. فالحمد لرحم السلف وبارك إلهي في الخلف.

9. قائمة المراجع:

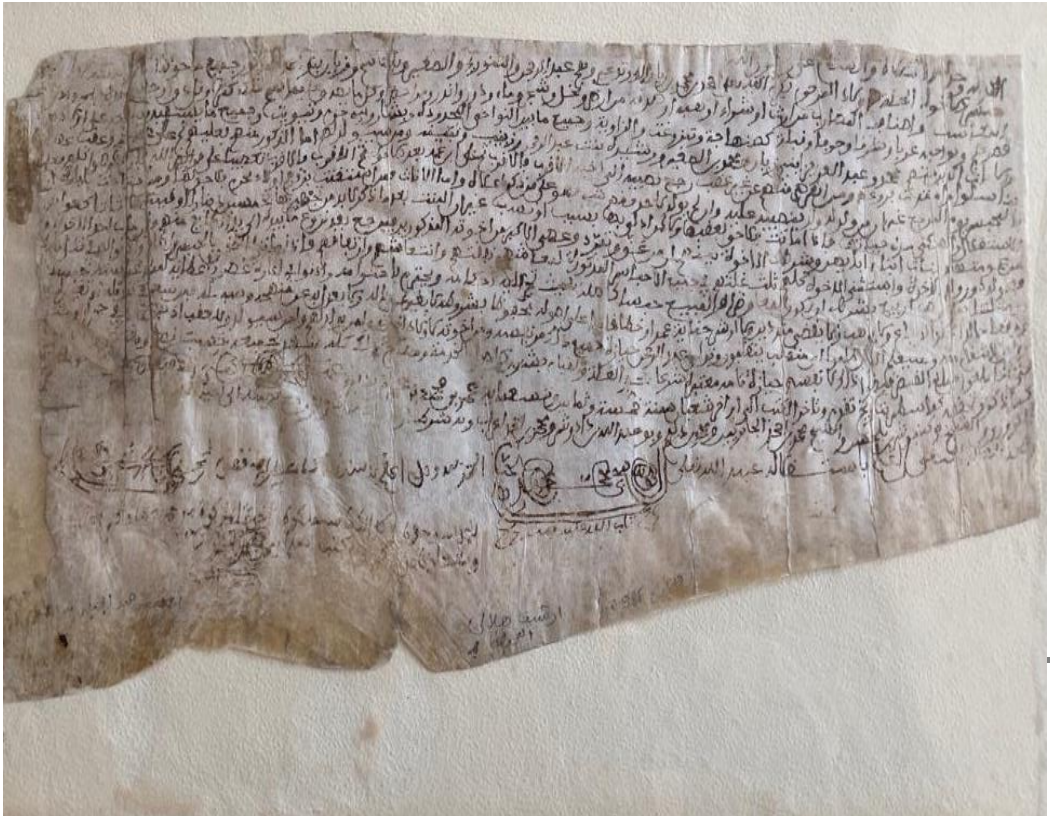
- إبراهيم برهان الدين بن فرحون المالكي، شبكة القناص نظم العلامة الفقيه سيدي عبد الرحمن ابن المجد العالم بن أحمد الأنصاري الزجلاني منشأ الزجلاني دارا ووفاتا التواتي إقليما الجزائري وطنا رحمه الله على درة الغواص في محاضرة الخواص، حققه وعلق عليه وأخرجه محمد سالم بن عبد القادر بن عبد الكريم التواتي الجزائري، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، لبنان، 2020.
- أبو القاسم الزباني، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، ط1، 1992.
- أحمد السكوني، تقوية إيمان المحبين مناقب الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة، تحقيق عبد الله طواهرية، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 1991.
- أحمد جعفري، الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن السابع حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجريين، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، ج1، 2009.

- أحمد مزبان، فجيح مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال ق19، مطبعة فجر السعادة، الدار البيضاء، 1988.
- الإمام المقرئ محمد بن أحمد بن جزى الكلي الغرناطي (ت.741هـ)، مخطوط الأنوار وكنز الأسرار في نسب آل النبي المختار، اعتنى بتحقيقه وعلق عليه السيد عبد الرحمن بن ماجد آل قراجا الرفاعي الزرعيني، بدون دار نشر، 1439هـ.
- بوفلجة حرمة، المدرسة الكنتية الرقادية بزاوية كنتة ودورها التربوي، مجلة رفوف، العدد 04، المجلد 07، 2019، صفحات 90-116.
- زهرة مسعودي & المبخوث بودواية، التواصل العلمي بين منطقة توات والسودان الغربي نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 03، المجلد 04، صفحات 605-627 .
- السباعي بن بحوص العُمري العيساوي السباعي الإدريسي، السباعيون عبر العصور في الماضي والحاضر والمنظور، بدون دار نشر، أدرار، 2020.
- الصديق ثياقة، نمط العمارة القصورية في ظل مراحل وجود الاستيطان البشري في إقليم توات، مجلة الحقيقة، العدد 03، المجلد 12، 2013، صفحات 374-392.
- عبد القادر بن جعفري، أمي توات من عقب تراثها، دار الدواية للنشر والتوزيع والطبع، أدرار، ط1، 2020.
- عبد القادر قصابوي، دراسة وصفية لخزانة الشيخ: سيدي عبد الرحمن بن أمجد الزجلاوي - قراءة في مؤلفه شبكة القناص، العدد 03، مجلة رفوف، أدرار، 2013 صفحات 33-67
- عبد القادر قصابوي، مخطوطات خزانة الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن أمجد الحبيب بولاية أدرار -قراءة وصفية، مجلة رفوف، العدد 02، المجلد 09، 2021، صفحات 12-33.

- عبد الله حمادي الادريسي، الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، ط1، ج1، 2018.
- العربي هلالي الودغيري، فجيح تاريخ وثائق ومعالم المسجد العتيق والصومعة الحجرية، المطابع المغربية والدولية، طنجة، 1988.
- الفقيه النسابة الشريف مُحمَّد بن مُحمَّد ابن الحسن المخلوفاي الودغيري، الدر النثر في من أشتهر وصح نسبه من شرفاء الوداغير بفجيح، فاس ومكناس، مراجعة وتحقيق الأستاذ المهندس العربي هلالي الودغيري، مطبعة فضالة، المغرب، ط1، 2003.
- مبارك جعفري، المخطوطات الكتبية في غرب إفريقيا الرحلة والأثر؛ مخطوط شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام" للشيخ أحمد بن عمر الرقادي الكنتي (ت1096هـ/1685م) أنموذجا، مجلة رفوف، العدد 02، المجلد 05، 2017، صفحات 07-32.
- محفوظ رموم، توات الجغرافيا والمصطلح من خلال المونوغرافيا المحلية والأجنبية، مجلة الحوار الفكري، العدد 12، المجلد 11، صفحات 82-116.
- مُحمَّد الصالح، حوتية: توات الأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج1، 2007، صفحات 242-245.
- مُحمَّد بوزيان بنعلي، من رموز الحركة الوطنية: الحاج بوعلام التَّنوري الفجيحي، خادم القرآن والوطن. مطبعة الجسور، وجدة، 2020.
- مُحمَّد بوزيان بنعلي، واحة فجيح تاريخ وأعلام، منشورات المجلس المحلي الإقليمي فجيح، مطبعة الجسور، وجدة، 2015.
- مُحمَّد، باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، ج1، 2005.

- محمد، بوزيان بنعلي، فجيح في عهد السعديين السياسة والثقافة والمجتمع، مطبعة الجسور، وجدة، 2005.
- مصطفى لالي (09 ماي 2019)، زوايا فجيح وأنشطتها العلمية، تم الاطلاع عليه في 11 ديسمبر 2023، موقع مجلة رباط الكتب:
<https://ribatalkoutoub.com/?p=2992>

10. ملاحق:



الحبس الجماعي لأبناء المرحوم الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ زيان، وهم خمسة إخوة: الشيخ عبد الرحمان، الشيخ التنوري، الشيخ الصغير، الشيخ بلقاسم، والشيخ زيان، مخطوط على رق، توثيق الحبس من توثيق الإمام العالم أبو القاسم بن محمد بن العلامة الولي الصالح عبد الجبار بن أحمد البرزوزي الودغيري بتاريخ شعبان 985هـ - 1577م.
(انظر أصل الحبس عند الأستاذ المهندس العربي هلاي الودغيري، محفظة 71 ملف 173)

11. هوامش:

¹ محفوظ، رموم: توات الجغرافيا والمصطلح من خلال المونوغرافيا المحلية والأجنبية، مجلة الحوار الفكري، العدد 12، المجلد 11، صفحات 89-94.

² زهرة، مسعودي & المبخوث بودواية: التواصل العلمي بين منطقة توات والسودان الغربي نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 03، المجلد 04، صفحات 613-616.

³ ولا نتجاهل البتة اهتمام الباحثين بتاريخ منطقة توات وقصورها أيامنا هذه، فحاضرة توات تستحق فعلا أن يُكتب عن تاريخ أعلامها، تراثها، وعن عاداتها وتقاليدها، الخ. ولقد بادر بعضهم وألف في ذلك، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر، عبد القادر، أولاد جعفري: أمي توات، من عقب تراثها، دار الدواية للنشر والتوزيع والطبع، أدرار، ط1، 2020، أدرار. فله فضل سبق مشكورا، إذ ليس بالأمر الهين أن يجمع الواحد منا معلومات حول تاريخ حافل لمنطقة ما ويضعها في كتب، غير أن التاريخ المبني على الروايات والكلام المتواتر من جيل إلى آخر يستدعي الوقوف عند تفاصيل تفاصيله بقصد التحقيق والتدقيق قبل النقل والتوثيق. والروايات، في غالب الأحيان، صحيحة ما لم يوجد دليل يثبت عكس ذلك، فمن الروايات ما لا يمكن إثباته أو نفيه، ومنها ما يندرج تحت الأساطير التي تسرد كالأحاجي أو يُتَزهى عنها جملة وتفصيلا. لذا أود هنا أن أعقب على بعض الروايات التي نقلها صاحب الكتاب بخصوص قصبة العكارمة بقصر المحفوظ، يقول في ذلك على لسان الراوي: "يشاع أن زوجته الحاجة عيشة [الشيخة عائشة] أم شرفاء آل عكرمي..." ص66، ويقصد بذلك أن مولاي عكرمي تزوج من الشيخة عائشة، وهو أمر غير صحيح. فالشيخة عائشة

زوجة الشيخ الحاج أحمد التنوري، ومولاي عكرمي صهرها، تزوج ابنتهما البكر، والأخيرة هي جدة آل عكرمة في المحفوظ، أما والدتها، الشيخة عائشة، فجدة آل التنوري الذي تفرعوا من القصر الفوقاني بأنزجير. وعليه فالتى أسست قصبة العكارمة هي بنتها، نقلت مواد البناء من القصر الفوقاني بأنزجير، النواة الأولى التي أسسها الحاج أحمد التنوري والشيخة عيشة، واستعانت بعبيد من قصر انزجير الفوقاني لا من "قوافل السودان" ص 67، لتشيد القصبة وخدمتها وزوجها عكرمي في تلكم الحقبة. وقصبة العكارمة هي ثاني قصبة بعد قصبة أولاد جبارة لا "أولاد شبارة" ص 66، وقصبة أولاد أزيواي بنيت بعدها. وجدير بالذكر أيضا أن مولاي حمادي بن الشريف ومولاي عكرمي ليسا من أبناء العمومة ولم يأتيا إلى قصر المحفوظ وقصر تيدماين معا، فمولاي حمادي بن الشريف دخل توات في حدود 1087هـ، أي قبل تأسيس قصبة العكارمة بقصر المحفوظ التي شيدت خلال العقد الخامس من القرن الثاني عشر الهجري، ولم يمكث بقصر تيدماين زمنا طويلا حتى أغتيل في ظروف غامضة فمات مقتولا سنة 1088هـ، ينظر أبو القاسم، الزباني: البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي الشريف، دراسة وتحقيق ذ.رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، ط 1، 1992، ص 193.

⁴ اعتمدنا في بحثنا هذا على وثائق مؤرخة بفجيج وأخرى بتوات:

- أما الوثائق الفجيجية: وثيقة (1): الحبس الجماعي لأبناء المرحوم الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ زيان، وهم خمسة إخوة: الشيخ عبد الرحمان، الشيخ التنوري، الشيخ الصغير، الشيخ بلقاسم، والشيخ زيان، مخطوط على رق، مؤرخ في شعبان 985هـ - 1577م، وثيقة (2) مؤرخة سنة 1102هـ، وثيقة (3) بتاريخ 1106هـ، وثيقة (4) بتاريخ 1108هـ: كلها تثبت حضور المرحوم الشيخ الحاج أحمد التنوري بفجيج خلال العشرة الأولى من القرن الثاني عشر الهجري، وثيقة (5) بتاريخ 1269هـ، وثيقة (6) بتاريخ 1174هـ، أنظر أصول هذه الوثائق عند الأستاذ المهندس العربي هلاي الودغيري (محفظة 71 ملف 731). وثيقة (7) رسم معارضة بتاريخ 1193هـ، أنظره عند الأستاذ المؤرخ محمد، بوزيان بنعلي: من رموز الحركة الوطنية لحاج بوعلام التنوري الفجيجي، خادم القرآن والوطن، مطبعة الجسور، وجدة، 2020، ص 29.
- وثائق تواتية: وثيقة بيوع (1) ترفع نسب الشيخ الحاج أحمد التنوري إلى أبوين: جاء اسمه فيها ب: الشيخ الحاج أحمد بن محمد بن عبد الله التنوري، كانت بحوزة المرحوم السيد الحاج سالم بن عبد الوهاب بالشيخ سنة 1997 أو خلال العقد الأول أو بداية الثاني من سنة 2000م. وثيقة (2)

عمود نسب ءال بالشيخ بخط المرحوم سيدي الطالب الحاج أحمد الشيخ بن عبد الرحمن، غير مؤرخة، أنظر أصلها عند السيد بالشيخ عبد الوافي بن الحاج عبد الكريم).

⁵ وأعاني على إنجاز هذا العمل الشاق أبناء عمومتنا السيد الشيعي الحاج الجيلالي، والشيخ سيدي الحاج محمد المكي والسيد عبد الوافي أحمد بن الطيب. جمعنا خلال هذه المرحلة كل ما له صلة بتاريخ تلك الحقبة التي عاش فيها المرحوم الشيخ الحاج أحمد التّنوري وزوجه الشبيخة عائشة وأبنائهما الشيوخ الثلاثة: الشيخ بلة والشيخ عبد الوافي والشيخ محمد، وذرياتهم، بقصر أنزجيم، بتوات.

⁶ فبعد رؤى منامية سارة واضحة فيها إشارة للاستمرار، عادت بسفينة البحث إلى جادة الطريق وهبت على شراعها رياح المدد واليقين والتوفيق، شحذت الهمة وجددت النية وعقدت العزم أن أدمن قرع الأبواب متوكلا على الله متجردا بالكلية من رؤية الحول والقوة إلا لرب العزة خالق البرية. فلم ألبث أن جمعتني الأقدار بالأستاذ المهندس العربي هلالى الودغيري، المؤرخ والباحث في تراث وتاريخ الجهة الجنوبية الشرقية للمملكة المغربية، المراجع والمحقق لمخطوط "الدر النثر في من أشهر وصح نسبه من شرفاء الوداغير بفجيج، فاس ومكناس"، والرئيس الشرقي "لمؤسسة سيدي عبد الرحمان الودغيري" ورئيس "جمعية فجيج للتراث وثقافة الواحات"، حيث أفادنا بكل التفاصيل المتعلقة بالشرفاء الوداغير الأدارسة وحدثنا عن تاريخهم وفروعهم الشريفة وعن الصلة التي تربط ءال التّنوري بهم. هذا وبعث لنا جزاءه الله خيرا نسخة من وثيقة حبس أبناء المرحوم الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ زيان، وهم خمسة إخوة: الشيخ عبد الرحمان، الشيخ التّنوري، الشيخ الصغير، الشيخ بلقاسم، والشيخ زيان، مخطوط على رق يعتني به ويحفظه في خزانته العامرة، ووثائق ذكر فيها اسم "الحاج أحمد بن التّنوري" بتاريخ مختلفة بفجيج، ووثائق أخرى مهمة جمعها في أرشيفه تخص ءال التّنوري وفروع الفرقة الزيانية الودغيرية، وكلها كانت سببا في إيجاد الحلقة الضائعة التي تربط الأصل بالفرع، أنظر أصول هذه الوثائق في أرشيف الأستاذ المهندس العربي هلالى محفظة 71 ملف 173.

⁷ الصديق، ثياقة: نط العمارة القصورية في ظل مراحل وجود الاستيطان البشري في إقليم توات، مجلة الحقيقة، العدد 03، المجلد 12، 2013، ص 375.

⁸ ولقد ألف أحد أحفاد الأسرة السباعية الإدريسية كتابا جمع فيه عددا من فروع العائلات السباعية الإدريسية التي انتشرت عبر قصور توات، ينظر السباعي، بن بخص العُمري العيساوي السباعي الإدريسي: السباعيون عبر العصور في الماضي والحاضر والمنظور، بدون دار نشر، أدرار، 2020 و لا يسعني التعليق هاهنا على كل ما جاء فيه، لكني أود أن أعقب عن مسألة واحدة، وهي حين قال: "أما القصة التي كان يسكنها السيد عبد الله [السباعي الإدريسي] هدمت عن آخرها حتى عهد السيد عبد الرحمان [الرجلاوي] الأنصاري هو

الذي أحيا معالمها وذلك خلال القرن الحادي عشر ليس بالضبط بل بالتقدير“ ص 69، وهذا تصريح بجانب للصواب ومعلومات خاطئة. فمجيء الشيخ سيدي عبد الرحمان الزجاجي كان سنة 1169هـ ونزل بالقصر الفوقاني لأنزجير الذي أسسه الشيخ الحاج أحمد التنوري في خلال أو بعد العقد الثاني من القرن الثاني عشر الهجري.

⁹ الإمام المقرئ محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي (ت. 741هـ): مخطوط الأنوار وكنز الأسرار في نسب آل النبي المختار، اعتنى بتحقيقه وعلق عليه السيد عبد الرحمن بن ماجد آل قراجا الرفاعي الزرعيني، 1439هـ، ص 118.

¹⁰ عبد القادر، قسباوي: مخطوطات خزنة الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن أمجد الحبيب بولاية أدرار - قراءة وصفية-، مجلة رفوف، العدد 02، المجلد 09، 2021، ص 14.

¹¹ الشيخ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من أبرز الشخصيات خلال القرن العاشر الهجري، وذلك لما عرف عنه من ثورة فكرية ونشره لدين الإسلام على امتداد طول الساحل الإفريقي، وحتى أدغال إفريقيا مورا بمنطقة

توات، موطن جهاده التاريخي ضد اليهود بقصر تمنطيط ومذهبه المقتضي هدم كنيسهم. عارضه يومها قاضي بلاد توات عبد الله بن أبي بكر العصوني (ت. 927هـ) في مذهب بخصوص النازلة اليهودية المذكورة عن اجتهد وتحرر للحق والصواب، لا عن هوى وتلاعب بالشرع، وأيدت طائفة من علماء تلمسان وفاس مذهب العصوني بأنه لا يجوز هدم كنيس اليهود بتوات وبغيرها من بلاد الصحراء وأنهم ليسوا بناقضي الذقة كما رآه المغيلي، في حين عصّدت طائفة أخرى من فقهاء تلمسان وفاس وفجيج مذهب المغيلي كذلك، ومن جملتهم العلامة الرحالة المغربي إبراهيم بن عبد الجبار الودغيري الفجيجي (ت. 954هـ)، الذي كان مؤيدا للمغيلي وأفتى بوجوب هدم كنيس يهود توات وله قصيدة ميمية يهجو فيها تساهل أهالي توات وعلمائها بشأن نازلة اليهود، وكل مجتهد مصيب حكما أو أجرا وفي كل خير، ينظر عبد الله، حمادي الإدريسي: الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، ط 1، ج 1، 2018.

وخلال صولات الشيخ المغيلي وجولاته لنشر العلم اجتمع في بلاد التكرور بالشيخ سيدي عمر الشيخ بن الشيخ أحمد البكاي (بودمعة) بن سيدي محمد الكنتي، وهو أصل التسمية الكنتية نسبة إلى جد أمه "كنت"، إلى آخر السلسلة الطيبة التي تتصل بسيدي الفاتح عقبة بن نافع الفهري، فأخذ عنه الشيخ سيدي عمر الطريقة القادرية وبرغبة من الأخير التحمت المدرستان المغيلية والكنتية. ينظر مبارك، جعفري: المخطوطات

الكنيتية في غرب إفريقيا الرحلة والأثر؛ مخطوط شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام للشيخ أحمد بن عمر الرقادي الكنتي (ت1096هـ/1685م) أنموذجا، مجلة رفوف، العدد 02، المجلد 05، 2017، صفحات 08-11.

فنشرا العلم في أرجاء المعمورة إلى أن استقرا بواد بوعلي بتوات، فاستقبلهما البرامكة وكان الشيخ المغيلي يعلم الناس بزوايته العامة التي أسسها والشيخ سيدي عُمَر يعينه على ذلك. وإلى ذرية الشيخ سيدي عُمَر يعود فضل ظهور المدرسة الكنتية الرقادية المشهورة اليوم بدائرة زاوية كنتة بتوات، التي أسسها الشيخ سيد أحمد الرقادي الكنتي -لكرامة حصلت له أثناء نومه- بن سيدي مُحمَّد الرقاد بن الشيخ سيدي عمر في حدود سنة 1022هـ وقيل سنة 1059هـ، على وجه التقريب لا التأكيد. وزوج الشيخ سيد أحمد الرقادي في حال حياته إحدى بناته لمولاي المُحمَّد بن سي حمو بلحاج الذي نزل بمدرسته وصاهره واختلط نسله بآل الرقادة الكنتيين، فكان لذريته الشريفة مساهمة في المدرسة الكنتية، وقاسمهم الكنتيون المدرسة والمسكن والبساتين. وإن من جملة ما أوصى الشيخ سيد أحمد الرقادي به بنيه، الحرص على العلم والتربية والتدريس والاستقامة والدعوى إلى الله

والإحسان لآل بيت رسول الله ﷺ عموما والشرفاء الذين بين ظهرانيهم بقصر زاوية كنتة السالفي الذكر. والمدرسة الكنتية اليوم تُعد منبعا للطريقة القادرية الكنتية بالجزائر وامتداداتها الجوارية، يحمل مشعلها الخليفة العام الشيخ سيدي الحاج مُحمَّد مصطفى كنتاوي، ورثها عن أسلافه المشايخ الرقادة الكنتيين الكرام بسندهم المتصل عن الإمام مُحمَّد بن عبد الكريم المغيلي. وللإطلاع بشكل مستفيض عن تاريخ الكنتاويين الرقادة ومدرستهم العامة بزواية كنتة، بولاية أدرار بالجزائر، ينظر بوفلجة، حرمة: المدرسة الكنتية الرقادية بزواية كنتة ودورها التربوي، مجلة رفوف، العدد 04، المجلد 07، 2019، صفحات 90-116؛ مُحمَّد الصالح، حوتية: توات الأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، الجزائر ج1، 2007، صفحات 242-245.

ولقد أخبرني الأستاذ المهندس العربي أن أحد رجالها، الرقادة الأبرزين، حل بفجيج حوالي النصف الثاني من القرن العاشر الهجري بقصر الشرفاء الوداغير وانضم إلى فرقة أولاد زيان منهم، وخلف ذرية برزت في ميدان العلم والتصوف والقضاء ولاتزال البقية الباقية من أحفاده بفجيج إلى يومنا هذا من ذريته الطيبة. ولقد أنجز الباحثان الأستاذ المهندس العربي هلالى الودغيري ومُحمَّد بوزيان بنعلي دراسة مستفيضة حول أعلام هذه العائلة

الكنتية الرقادية الكريمة بفجيح، غير أن الدراسة لم تنشر بعد (مكاملة شخصية عبر وسائط التواصل الاجتماعي يوم 27 نوفمبر على الساعة 14:07)

¹² وهو ما أخبرني به السيد عادل عوماري السباعي الإدريسي، واستنادا إلى الأرسام والوثائق التي بحوزته فإن الشرفاء السباعيين الأدارسة مكثوا مدة 194 سنة بقصر أنزجير قبل انتقالهم إلى قصر تيدماين (مراسلة شخصية عبر وسائط التواصل الاجتماعي يوم 10 ديسمبر 2023 على الساعة 17:10).

¹³ الفقيه النسابة الشريف محمد بن محمد ابن الحسن المخلوفي الودغيري: الدر النثر في من أشتهر وصح نسبه من شرفاء الوداغير بفجيح، فاس ومكناس، مراجعة وتحقيق الأستاذ المهندس العربي هالالي الودغيري، مطبعة فضالة، المغرب، ط1، 2003، ص 147.

¹⁴ قص علي ذلك السيد الشيخ الحاج الجيلالي، الذي كان حاضرا بنفسه لمجريات الواقعة بضحي يوم خميس بحضور الشيخ سيدي الحاج الحسان الأنصاري في منزل أخيه (بالدهليز) بقصبة العلماء (قصبة المرابطين) الذي اطلع على ما جاء في الوثيقة وقرأه على مسامع الحاضرين (محادثة شخصية عبر وسائط التواصل الاجتماعي بتاريخ 17 أكتوبر 2023 على الساعة 21:18). وهو ما وثقه أيضا المحقق إبراهيم، برهان الدين بن فرحون المالكي: شبكة القناص نظم العلامة الفقيه سيدي عبد الرحمن ابن محمد العالم بن أحمد الأنصاري الزجلوي منشأ الزجيري دارا ووفاتا التواتي إقليما الجزائري وطنا رحمه الله على درة الغواص في محاضرة الخواص، حققه وعلق عليه وأخرجه محمد سالم بن عبد القادر بن عبد الكريم التواتي الجزائري، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، لبنان، 2020، ص 31.

¹⁵ ينظر محمد، بوزيان بنعلي: من رموز الحركة الوطنية الحاج بوعلام التنوري الفجيجي، مرجع سابق، صفحات 15-17.

¹⁶ وثيقة مؤرخة سنة 1174هـ، ووثيقة أخرى بتاريخ 1269هـ، ورسم مؤرخ في 1193هـ. ¹⁷ اشتهر باسم "الحاج أحمد بن التنوري" في قصر أنزجير وتوات إلى الآن، فإذا ما تزوج أحد من ذريته تجد النسوة يرددن عمود النسب مسلسلا أو ما يعرف عند العوام بـ "تدراي" فيقولن: الله مع فلان بن فلان ... بن الشيخ الفلاني بن الحاج أحمد بن التنوري، الساقية الحمراء، يحنن بذكرها لأن شاعه مجيئه عبرها وإليها تُرفع تكملة سلسلة النسب.

¹⁸ الحبس من توثيق الإمام العالم أبو القاسم بن محمد بن العلامة الولي الصالح عبد الجبار بن أحمد البرزوزي الودغيري بتاريخ شعبان 985هـ - 1577م. انظر أصل الحبس عند الأستاذ المهندس العربي هالالي الودغيري، وثيقة مخطوطة على الرق (محفظة 71 ملف 173).

¹⁹ أنظر أصل هذه الوثائق عند الأستاذ المهندس العربي هلاي الودغيري (محفظة 71 ملف 173): كلها تثبت حضور المرحوم الشيخ الحاج أحمد بن التّوري ضمن وثائق شهود مختلفة: وثيقة مؤرخة سنة 1102هـ، أيضا وثيقة بتاريخ 1106هـ، وأخرى بتاريخ 1108هـ.

²⁰ مُجّد، بوزيان بنعلي: من رموز الحركة الوطنية الحاج بوعلام التّوري الفجيجي، مرجع سابق، ص 19.
²¹ وهو سيدي أحمد بن مُجّد بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن عثمان المسمى اختصارا أحمد بن أبي بكر السكوني، من ذرية الولي الصالح، دفين بني ونيف، الشريف الشيخ سيدي عيسى بن الشيخ سيدي عبد الرحمان الودغيري الإدريسي، عاش في مستهل القرن الحادي عشر الهجري وإلى ما بعد العشرة الثامنة منه (ق 16م)، وهو من أتباع الطريقة الشيعية، اشتهر بكثرة تصانيفه الصوفية ومنها: كتاب نزول الرحموت أو خزانة الرحمة، مناقب الخلفاء، وشرح تنبيه الأنام لابن عظم. ينظر أحمد، السكوني: تقوية إيمان المحبين مناقب الشيخ سيدي عبد القادر بن مُجّد بن سليمان بن أبي سماعة، تحقيق عبد الله طواهرية، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 1991، صفحات 15-16.

²² ينظر أحمد، مزيان: فجيح مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال ق 19، مطبعة فجر السعادة، الدار البيضاء، 1988، ص 102؛ مُجّد، بوزيان بنعلي: فجيح في عهد السعديين السياسة والثقافة والمجتمع، مطبعة الجسور، وجدة، 2005، ص 233؛ مُجّد، بوزيان بنعلي: واحة فجيح تاريخ وأعلام، منشورات المجلس المحلي الإقليمي فجيح، مطبعة الجسور، وجدة، 2015، ص 159.

²³ مصطفى، لالي (09 ماي 2019)، زوايا فجيح وأنشطتها العلمية، تم الاطلاع عليه في 11 ديسمبر 2023، موقع مجلة رباط الكتب: <https://ribatalkoutoub.com/?p=2992>

²⁴ العربي، هلاي الودغيري: فجيح تاريخ ووثائق ومعالم المسجد العتيق والصومعة الحجرية، المطابع المغربية والدولية، طنجة، 1988، ص 83.

²⁵ مُجّد، بوزيان بنعلي: من رموز الحركة الوطنية الحاج بوعلام التّوري الفجيجي، مرجع سابق، ص 19.
²⁶ فهل سلك الشيخ الحاج أحمد التّوري طريق الساقية الحمراء فعلا ومنها توجه مباشرة إلى قصر أنزجير بتوات رفقة قافلة أو نفر أم كان وحده، وما الذي دعاه أن يأخذ هذا المسار تاركاً الطريق المباشر الذي يربط فجيح وتوات مروراً ببني ونيف؟ ثم كيف اجتمع بالشيخة عائشة ولم تربطه علاقة سابقاً بالبرامكة؟ فلا يعقل أن يكون مجيء الشيخ الحاج أحمد التّوري محض صدفة، ولعله كان يتتبع أو تصله أخبار توات فعلم ما كان يجري بقصر أنزجير من أحداث في الفترة التي عاشها السباعيون بالقصر إلى أن بات مهجوراً ساعتها فوجده

مكانا مناسباً يستقر به بشكل دائم، بقصد التخفي عن الأنظار ومحو الآثار والأخبار أو لأسباب أخرى نجهلها والأيام، إن شاء الله، كفيلة بأن تنفض عنها الغبار، فاتخذ بذلك طريق الساقية الحمراء سبيلاً أو أخبر أنه جاء عبرها تضليلاً، حاجة في نفسه قضاها (فحرص ألا يُعلم أصله ومن أين جاء فينكشف أمره وتفسد خططه). أيا كان الجواب الذي قد يأتي أولاً يأتي، فإن زواجه من الشبيخة عائشة ووجودها في حياته كان سنداً داعماً له، ويلاحظ ذلك من خلال تصدرها المشهد بضراوة وجسارة إلى أن ذاع صيتها في توات، ولحكمة بالغة بالغة كان الشيخ الحاج أحمد يُدير الأمور من وراء الحجب وظاهر الأمر يوحي بأنها زوجه، وفي الأمر نقطة تدل على دور المرأة التواتية ومساهمتها في مناحي الحياة وسط المجتمع التواتي في تلك الأيام، ولعلو همتها وشأنها كانت لها حظوة ومكانة ومركز على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي وكذا السياسي والدبلوماسي، والشبيخة عائشة البرمكية زوج الشيخ الحاج أحمد التّنوري التي خلد التاريخ ذكرها خير إثبات ومثال يستشهد به. ويفهم من ذلك أيضاً أن زواجه من قبيلة البرامكة كان مدروساً، فلقد كان لهم في تلك الفترة سلطة ونفوذ وكانوا قوماً أولي بأس شديد بتوات -وتواجههم كان بقصر بوعلّي- وإلا ما كان ليسهل عليه أن يستوطن قصر أنزجيم، ويفرض وجوده فيه، ويقيم على أنقاضه القصر الفوقاني ويطيب له فيه المقام، وبركة أنوار العلم والتصوف التي أكرمها الله بها أخذت نار الفتنة فأصبحت برداً وسلاماً وأحيا الله به الأرض بعد موتها، فبات القصر منارة علم وأمان إلى عصرنا الحالي.

²⁷ وأغلب الأشراف الأدارسة لا زالوا مخفيين - أي لا يعرفهم الناس - لحكمة أرادها المولى سبحانه، وهم كثر بتوات، كأبناء الإمام مُحمّد بن عبد الكريم المغيلي بقصر زاوية الشيخ، والبكراوين بقصر تنظيم وبعض فروع السباعيين، وببلاد متليلي سيد الزعيم، وأولاد سيدي موسى بن مسعود وغيرهم بتيميمون وبلاد كرزاز، وذكرنا هؤلاء على سبيل المثال فقط وإلا فالعدد أكثر من أن يحصر، وكلهم في الحقيقة من آل البيت، أشراف من ذرية سيدنا إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل، غير أنه جرى على لسان الناس مناداتهم بلقب "المرابط". ذكر ذلك الشيخ سيدي مُحمّد باي بلعالم في كتابه الرحلة العلية إلى منطقة توات فقال: "والكثير من الأدارسة المنتشرون عبر المناطق الثلاث [بتوات] نزع اسم مولاي لأسباب تاريخية وبقوا تحت الاسم المستعار" ص 550.

²⁸ وبجوار الشيخ الحاج أحمد التّنوري دفن بنوه الشيوخ الثلاثة: الشيخ بلة والشيخ عبد الوافي والشيخ مُحمّد، وسيدي عبد الرحمن الزجاجوي جد الأنصار وابنه سيدي مُحمّد الغوث. هذا وتوجد مقامات وقبور للأولين من قبائل أخرى سبقته إلى أرض توات أمثال: سيدي عبد الله السباعي وابنه مولاي علي، مولاي حمادي بن الشريف، سيدي عبد المؤمن الكنتي، سيدي الحاج بافكر، مولاي علي الشريف، وسيدي مُحمّد الشريف،

ومولاي أحمد، وهو أول شريف من آل بيت النبوة دخل لتوات كما هو الحال بالنسبة لمولاي سليمان بن علي دفين مقبرة أولا أوشن بأدرار، رحم الله أرواح جميعهم الطاهرة برحمته الواسعة.

²⁹ ورزق المرحوم الشيخ الحاج أحمد التّوري بنات تزوجن من رجال أفاضل ذوي قدر عليّ وأصل شريف أهل علم وولاية وصلاح في ذلك الزمان، نذكر منهن: زوجة مولاي عكرمة من ذرية مولاي عبد الكريم (ت. 1095هـ) بن مُجد المعروف بالسي حمو بلحاج الذي صاهر العائلة الرقادية الكنتية كما تقدم معنا وشيكا، وهي جدة الشرفاء العكارمة بقصر المحفوظ الذي انتقلت إليه وزوجها بأمر من والدتها الشيخة عائشة وبه أسست قصبة العكارمة خلال العقد الخامس من القرن الثاني عشر الهجري، وهي ثاني قصبة بعد قصبة أولاد جبارة بقصر المحفوظ. ومن بناته زوجة سيدي سالم بن الشيخ الولي الصالح سيدي يوسف قنون. عاشت بقصر تيدماين وهي جدة كل من عائلة يوسف في قصر تقراف بأولف وعائلة قرائي بقصر الخلفي من ذرية مُجد بن سالم المكنى بقرائي بن الشيخ سيدي يوسف، وعائلة قنون المتواجدة في قصر تيدماين من ذرية عبد الكريم بن سالم بن الشيخ سيدي يوسف. وأخرى، ولعلها أصغر بناته، تزوجها الشيخ سيدي عبد الرحمن الزجلوي وهي جدة الأنصار بقصر أنزجير ومن تفرع من ذريتهم بقصر تيدماين وقصر زاوية الشيخ وتوات عموما، الخ. فبنات الشيخ الحاج أحمد التّوري كن شيخات أيضا وعُرفن بالصلاح، فكن خير زوجات لخير أزواج وخير أمهات لذرية طيبة كريمة.

³⁰ ونزل بين ظهرانهم أبناء "بالشيخ" بقصبة القائد، وهم عرب أفاضل كرماء، وعائلة كبيرة مشهورة اليوم بقصر أنزجير بتوات، ينتسبون إلى جدهم الجامع "الشيخ" بن بادّيب بن مُجد بن سليمان بن عبد الله المغافري نسبة إلى الصحابي الجليل سيدنا أبي ذر الغفاري نسبة إلى قبيلة غفار - غفر الله لها - وغفار من كنانة بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (قيد عمود النسب هذا المرحوم سيدي الطالب الحاج أحمد الشيخ بن عبد الرحمن الأنصاري، وثيقة بخط يده، غير مؤرخة، أنظر أصلها عند السيد بالشيخ عبد الوافي بن الحاج عبد الكريم).

³¹ ولا ينتسب إلى قبيلة بني مهدي بن حسان بن الشيخ عبد الوافي بن الشيخ الحاج أحمد التّوري سواهم، ممن ينتمون لعائلي مُجد وأخيه جلّول بعد أن خرجا من القصر الفوقاني بأنزجير وتفرعت منهما الذرية بقصر المحفوظ. لأنه يوجد بتوات من يحملون اللقب المدني ذاته "عبد الوافي" بقصور توات بيد أنهم ليسوا من ذرية الشيخ عبد الوافي ولا ينتسبون إلى الشيخ الحاج أحمد التّوري ولا تربطهم به صلة رحم عدا الذين حصروا.

³² الشيخ سيدي أُمجد الونقالي (ت. 1175هـ): "هو سيدي أُمجد بن عبد الله بن أُمجد بن الصالح بن الطيب بن موسى. الأدغاغي أصلا الساكن بقصر أولاد ونقال وضواحي مقر الولاية أدرار حاليا. ولد حوالي سنة

(1140هـ) وقيل سنة (1142هـ) عاش حوالي ثلاثة وثلاثين سنة وقيل خمسة وثلاثين سنة. وخلف ابنين هما سيدي مُحمّد عبد الرحمان وهو مقبور بأدغا والثاني سيدي مُحمّد المقبور ببلاد دلدول. أخذ عنه الشيخ سيدي الحاج مُحمّد بن عبد الرحمان البلبالي، وسيدي عمر بن عبد الرحمان المهداوي، وسيدي عبد الرحمان بن مُحمّد العالم الزجلاوي وسيدي الحاج مُحمّد بن عبد الكريم بن حسان البداوي. توفي عن عمر ناهز الخامسة والثلاثين سنة تقريبا في فجر يوم الجمعة الحادي والعشرين (21) من رمضان سنة (1175هـ). “أحمد، جعفري: الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن السابع حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجريين، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، ج1، 2009، ص37.

³³ الذي اختاره الشيخ مُحمّد بن الشيخ الحاج أحمد التّنوري لتولى شؤون التدريس بالقصر، رغم تمكن كل منهما بعد أن نحلا العلم من عند شيخهما وتبحرا في العلم، فأمرت أم الشيخ مُحمّد بن الشيخ الحاج أحمد التّنوري، الشّيخة عائشة، بإحضار الشيخ سيدي عبد الرحمن الزجلاوي سنة 1169هـ، فنزل بالقصر الفوقاني وتزوج من إحدى بنات الشيخ الحاج أحمد التّنوري، الذي لا شك أن يكون قد مات يومها. تصدر التدريس آنذاك فاستنار القصر ووفد عليه الناس من داخله خارجه وأقبلوا على حلق التدريس. خلف ذرية مباركة من بعده حملوا مشعل العلم، وهو الجد الجامع لكل الأنصار، نسبة إلى الصحابي الجليل سيدنا أبي أيوب الأنصاري، بقصر أنزجير وقصور أخرى بتوات. ولقد وصف لنا مشهد مجيء الشيخ سيدي عبد الرحمن الزجلاوي لقصر أنزجير د. عبد القادر، قسباوي: دراسة وصفية لحزنة الشيخ: سيدي عبد الرحمن بن المُحمّد الزجلاوي - قراءة في مؤلفه شبكة القناص، العدد 03، مجلة رفوف، أدرار، 2013 صفحات 33-67. لقد سرد روايات، نقلا على ألسنة أصحابها، صحيحة ومتواترة لا غبار عليها، لكن لا بد من الوقوف عند بعض جزئياتها والتعليق، فمثلا عند قوله: “وبعد وفاة معلم الناس ومرشدهم بالقصر كان لا بد للبلد من رجل يعود بسفينته لجادة الطريق فتوجب على أعيان القصر أن يجدوا مخرجاً لذلك،” ص 36، ولم تكن بلدة أنزجير وقتها عامرة بالناس، بل اقتصر على عائلة الشيخ الحاج أحمد التّنوري داخل أسوار القصر الفوقاني بأنزجير، النواة الأولى ببلد أنزجير التي أسسها بعد مجيئه لتوات وزواجه من الشّيخة عائشة.

فإن كان المقصود “بمعلم الناس” هو الشيخ الحاج أحمد التّنوري فصحيح، لأنه اشتهر بالعلم والتصوف، وليس غريبا على مثله أن يبعث بابنه الشيخ سيدي مُحمّد، بعد أن أخذ مبادئ العلم وتمكن على يديه بالقصر الفوقاني، إلى مجلس الشيخ سيدي المُحمّد الونقالي ليستزيد ويأخذ من أدبه وعلمه، وفي الأمر دليل واضح على حرص الشيخ الحاج أحمد التّنوري وزوجه الشّيخة عائشة واهتمامهما بالعلم، فبعد استقرار الأوضاع بالقصر

وعودة المياه إلى مجاريها بالمنطقة بعد أن كانت خرابا ودب إليها الفساد في عقائدها ومعاملاتها بعد أن كثرت الجهل وقل العلم في ذلك الزمان، علما أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها، أي الرعيل الأول للأمة، ولا سبيل لتحقيق ذلك إلا بالعلم وبالرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه، ولعله الدافع من وراء أخذ الشيخ سيدي محمد بن الشيخ الحاج أحمد التتوري للعلم، لأجل أن ينشر العلم ويستنير القصر الفوقاني بأنزجير، غير أنه اعتذر؛ "ولما لاحظ تبخر زميله [الشيخ سيدي] عبد الرحمن [الرجلاوي] وتمكنه من العلم ومراعاة للظروف التي كان يمر بها القصر دهم عليه." ص 37. واعتذاره لا يعزى إلى عدم تمكنه واستعداده لحمل المشعل، بل لأنه لم يكن يسكن بقصر أنزجير الفوقاني إلا أهله وذووه حينئذ، فخشي أن يجد صعوبة في تبليغ العلم وأداء مهمته وألا يطاع الله فيما أمر وألا ينتهي الناس عما عنه زجر، فالحمد لله إذ ألهمه الله الفطنة فنظر في الأمر واستشرف ثم اعتذر (مقابلة شخصية مع الشيخ سيدي المكي محمد بمقر سكناه بوم الاثنين 30 أكتوبر 2023 في حدود الساعة 12:00، سمع هذه الرواية من عند الطالب سيدي الحاج أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري رحمه الله).

³⁴ واللقب العائلي نفسه، "الشيخ"، تشتهر به بعض عائلات الأنصار، المرابطين، بقصر أنزجير أمثال الشيخ المربي سيدي الحاج الحسن الأنصاري الذي درس رفقة الشيخ سيدي الحاج أحمد المغيلي الأنصاري والشيخ سيدي الحاج محمد المكي (من أحفاد الشيخ الحاج أحمد التتوري) حفظهم الله عند الشيخ المربي سيدي الحاج محمد بلكبكي، فكانوا من المقربين لديه ومن خاصته لبنو غهم وخدمهم واجتهادهم في طلب العلم وخدمتهم للشيخ، فأكرمهم الله بحمل مشعل العلم. أخذوا الكتاب بقوة ففازوا بفخار النبوة في حياته ومن بعد وفاته رحمه الله. أسس الشيخ سيدي الحاج الحسن الأنصاري مدرسة قرآنية بالقصر الفوقاني بأنزجير، وأسس الشيخ سيدي الحاج أحمد المغيلي الأنصاري مدرسة قرآنية بالقصر التحتاني بأنزجير، والمدرستان عامرتان مشهورتان ببارك المنان. أما الشيخ سيدي الحاج محمد المكي فغدا فارسا للمنابر بمسجد الشيخ المربي سيدي الحاج محمد بلكبكي ومساجد أخرى بولاية أدرار إلى أن تقاعد، ولم تفتّر همته عن النشاط والدعوة إلى الله ورسوله من خلال دروسه وحلقات العلم في سبيل الله، وبتيسير من الله وضع الحجر الأساس لمدرسته بقصر تينيلان بولاية أدرار وبني مسجدها، نسأل الله أن يعينه على ذلك.

ولا فرق بين الشيخ المربي سيدي الحاج الحسن الأنصاري والشيخ سيدي الحاج أحمد المغيلي الأنصاري والشيخ سيدي الحاج محمد المكي، بل كل واحد منهم جبل راسخ أشم في العلم بالكتاب والسنة وعلم التزكية والتصوف وعلوم الآلة والفقه، وكل أسد في غابته. جعلوا حياتهم وقفا للعلم واقتنفوا خطى المرحوم الشيخ المربي سيدي الحاج محمد بلكبكي واتبعوا نهجه وسبيله، ولم يشغلهم عن أداء الأمانة والتبليغ وتعليم الناس أمور دينهم شاغل،

ابتغاء مرضاة الله ونصرة لدينه المحمدي. أحبوا الله ورسوله، فجعل لهم القبول وذاع صيتهم بين الناس وأقبل عليهم الزوار وطلبة العلم والمحبون من كل حدب وصوب، كيف لا وهم من العلماء الجهابذة التي تذخر بهم توات ولا فخر، فله الحمد والمنة.